المشرق

حوادث الصين

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

١ البلاد وسكانها واخلاقهم (*)

بلاد الصين ارض واسعة موقعها في شرقي آسية بين الدرجة ٧١ و١٣٣ من طول الكرة الارضية الشرقي وبين الدرجة ١٨ و٥٣ من عَرْض الكرة الشمالي. وحدودها، شمالاً بغرب وشرق بلاد روسية الآسيوية، وشرقاً بلاد كورية والبحر الاصفر وبحار الصين، وجنوباً الهند الصينيَّة الافرنسيَّة وبرمانية العليا والمصام، وجنوباً بغرب بلاد البوطان والسِّكِّيم والنيبال، وغرباً البنجاب وبلاد كشمير وبامير

وفي الصين جبال شامخة وسهول فسيحة تشقُّها انهار عظيمة تبلغ من الشدة والغزارة ما لا يبلغهُ مثيلها في القطر الآسيوي. ومساحة بلاد الصين ١١،١٣٨،٠٠٠ كيلومتر مربع فهي اوسع من اوروبا. اما عدد سكانها فيبلغ ٣٢٩ مليون نفس(١ يتعاطى اكثرهم الزراعة وفيهم عناصر شتى اخصها العنصر المنغولي في الشمال الشرقي والعنصر التبتي والثاني في الجنوب الغربي وغيرهم

---

* راجع في مجلة المباحث (Etudes) ٥ نيسان ١٩٢٧ مقالة الاب لاون ويجر : الصين الحالية. اطلب ايضاً المشرق: لامنس: وصف الصين للقلقشندي (٩: ٤٠٦-٤٤٦) ولوفنك : كورية (٧: ٢٥٨) ومنشورية (٣٦٥). وشيخو. الصين والمسألة الصينية ٣: ٧٤٢ و٨٤٥ ثم عجائب تبت (١١: ٥٢٢) ـ ودائرة المعارف للبستاني في مادة الصين ومجلة العالمين Revue des deux Mondes) ١٥ نيسان ١٩٢٧ ص ٤٤٨ ١) هذا اخذاً عن لاروس اونيفرسل في كلمة صين Larousse Universel ومن الاحصائيين من يبلّغون عدد الصينيين ٤٠٠ مليون

ومما يُقتضى ذكرهُ خاصة في هذه المقالة من اخلاق الصينيين ، نفورُهم من الاجانب وحرصهم الشديد على مقاطعتهم . فانَّ ما يقال عن السور العظيم الذي بناه احد ملوكهم قبل التاريخ المسيحي بنحو ٢٢٠ سنة ليردَّ عن بلاده هجمات القبائل الشمالية انما هو رمز لما اظهروه على مدى الاجيال حتى السنين الاخيرة من بغضهم للغرباء ومعارضتهم لمن يروم الدخول الى بلادهم . ولم يخفَ هذا الامر على صاحب معجم البلدان حيث قال:

« ان هذه البلاد شاسعة ما رأينا من مضى اليها فأوغل فيها وانما يقصد التجار اطرافها وهي بلاد تُعرف بالجاره على سواحل البحر شبيهة ببلاد الهند يُجلب منها العود والكافور والسنبل والقرنفل والبساسة والعقاقير الصينيَّة والفخار الصيني فاما بلاد الملك فلم نرَ احداً رآها . »

على ان بعضاً من المسافرين من التجار والمرسلين خاصَّة دخلوا بلاد الصين وتوغَّلوا فيها رغم مراقبة حكَّامها الشديدة عليهم وبثَّر فيها النساطرة بالمسيح في القرن الثامن الى الحادي عشر فنصَّروا كثيرين وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر نشر الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان الديانة المسيحيَّة في الصين . ثمَّ انقطعت المواصلات زمناً طويلاً حتى اخذت الدول الاوروبية منذ العصر السادس عشر تَرِد بعض موانئ الصين عن اتفاق معها . وكان اوَّل المرسلين الذين دخلوها في ذلك القرن الاب ماتيو ريتشي اليسوعي سنة ١٥٨٢ (اطلب ترجمتهُ وصورتهُ في المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٨٠١ و٩١٥) وتبعهُ عدد عديد من اخوتهِ اليسوعيين

لكن معاداة الصينيين للاجانب كثيراً ما دعت الى مشاكسات وحروب آل امرها الى ابرام معاهدات اشبه منها «بالامتيازات الاجنبية» المعروفة عندنا منذ عهد الاتراك وهم يدعونها «اقطاعات» (Concessions territoriales) لا بدَّ من الكلام فيها للوقوف على اسباب الازمة الحالية في الصين

٢ الاقطاعات الاجنبية

كما ان تعسُّف الحكَّام الاتراك وخروجهم عن القوانين الدولية كان سبباً لتدخُّل الاوروبيين في شؤونهم واكراههم على قبول «الامتيازات» كذلك الجأت الحالة في بلاد الصين الى افراز مراكز تجاريَّة ومحطَّات بحرية ظلَّت في حكم الدولة

الصينية انما أتيح فيها للاجانب ان يعيشوا متمتعين بحماية شرائعهم الخاصة دون ان يقيّدوا بشرائع الصين لان اخلاق الصينيين وتقاليدهم القضائية هي والاخلاق والتقاليد القضائية الاوروبية على طرفي نقيض

ولا ريب ان وجود تلك «الدُّوَيلات» في الدولة يسبّب بعض الاحايين مشاكل شتى اذ لها حقوق الحماية فيلجأ اليها المجرمون ويبيتون فيها آمنين من تعقُّب المدرك وهي سمةُ عارٍ تسم وجهَ الصينيين وثقلٌ يستثقلونهُ فتأباه روح الانفة والعزّة الوطنية وقد انتعشت فيهم منذ اخذوا يحتكُّون بالاجانب. ولعلَّ اعادة النظر في تلك المعاهدات وتحويرها خيرٌ للمتعاهدين اجمعين. ولكن لا بدَّ من مراعاة حقوقهم الاساسية لانه لولا الاجانب لظلَّت بلاد «الساويين» متكمّة في ظلمات التقهقر لا يشقُّ فضاءها صفير قطار حديدي ولا تخطُّ بحرها سفينة بخارية فلا تزال معادنها مدفونة وتجارتها كاسدة وصناعتها شلّاء راقدة

على ان الثوّار في الصين قاموا يضربون على يد الاجانب حتى اذا كفّت عن العمل استعاضوا عنها بيد وطنية. وفاتهم انهم يهضمون حقوق العدل والصواب لأن الاوروبيين غرسوا فمن العدل ان يقطفوا ثمار اتعابهم ووجودُهم في الصين ضروريٌّ لمصالح البلاد وليس لها غنى عن اختصاصيين في دوائر الفنون والاقتصاد. وهب ان بعض الصينيين بلغوا من الرقي ما يكفيهم مؤونة الاستعانة بالافرنج فلم تظهر فيهم بعد تلك روح النزاهة والصدق التي لا تحيا أمّةٌ دونها. والرشوة داء لا يزال سمُّهُ متسرّباً في عروق المتوظفين فاذا تسلموا الدواوين فتحوا ابوابَهُ على مصاريعها لمن «يُطعمهم» من كبار التجار وتقاضوا حتى آخر فلس من صغار البائعين ومساكينهم. واذ ليس من مصلحة الأمّة ولا من الصواب ان تتألّد الوظائف الّا من كان اهلًا لها فخير للصينيين ان يبقى للاجانب ما بيتهم الإشرافُ على ادارات المصادر والموارد كالصارف والمرافئ والسكك الحديدية وغيرها

على ان الثوّار ضربوا صفحاً عن هذه الحقائق الراهنة واستسلموا الى عاطفة اندفاع اعمى والى حماسة وطنية كاذبة فهاجموا الاقطاعات الاجنبية اذ دخلوا مدينة شنغاي في ٢٢ اذار وناكين في ٢٣ منه حيث ارتكبوا فظائع يسوّد ذكرُها صفحات التاريخ فظلَّ الاوروبيون والاميركيون في حالة الحصار الى ان قدم البحّارون من شنغاي

لتجدتهم . وفي تلك الايام العصيبة قُتل الابوان اليسوعيان فانارا (Vanara) ودوغو (Dugout) . امَّا هذا الاخير فلمَّا تقدَّم اليه الثوار سألوه : من انت ؟ فقال : اناكاهن . فاطلقوا عليهِ الرصاص وتركوه يختبط بدمهِ وينازع مدة ساعات الى ان قضى نحبهُ ولم يسمحوا لاحد باسعافهِ

فسببت هذه الحوادث في الدوائر السياسية ضجَّةً لم يمكن اضطرابها الى اليوم وارسلت الدول الخمس ذوات المصالح في الصين اعني الولايات المتحدة وانكلترة وفرنسة وايطالية واليابان تذكرة الى اولياء الامر في الصين يستفزُّون فيها الحكومة الى محافظة الامن في البلاد ويطالبون فيها التعويض المادي والمعنوي عمَّا جناه الثوار

هذه حوادث يدور عليها محور السياسة في يومنا ولا نعرف ما تولده من النتائج في الغد وهل يقوى اولياء الامر في الصين على كبح جماح الثورة وتلبية دعوة الدول والذود من مصالح بلادهم الَّا ان المتضلعين من الشؤون السياسية في الصين يتشاءمون كلَّ التشاؤم من مستقبلها اذ هي اصبحت في حالة فوضى وليس فيها حكومة بل حكومات او قل بالاحرى عصاباتٌ اصوص كلٌّ عصابة تدَّعي لنفسها النزاهة وصدق النية والغايات الشريفة اعني توحيد كلمة الامة والسير بها الى مناهج الفلاح . وانما هي في الحقيقة فئات متشاكسة طمَّاعة بالسلب والنهب سفَّاكة دماء لا تنكف عن تضحية الوطن ان وجدت بالخيانة الى بلوغ مأربها سبيلًا . وحسبنا ان نعرِّف بها القارئ ليكون على بيِّنة من صدق ما تقدمنا به

٣ الاحزاب المتحاربة

﴿الحزب الجنوبي﴾ او الكانتوني مركزهُ في مدينة كانتون ويُدعى ايضاً الازرق ، ورايتهُ لونها ازرق سماوي ، في وسطها شمسٌ بيضاء ارادوا بها النهار الجديد المضيء في سماء صافية من سُحب الاستبداد والجور فتُزيل ظلمة المؤسسات الامبراطورية القديمة . انشأهُ رجلٌ صيني الاصل اسمهُ سون ونْ . ولد في العام ١٨٦٦ وتلقَّن العلوم في اميركا وحاز شهادة الدوكتورية الطبية في لوندرة واخذ يعمل في سياسة الصين حتى نُفي منها فلجأ الى بلاد اليابان وغيرها واسَّس جمعيةً سريَّة خرج منها الحزب الثوري المدعو كوه ينتمائهِ ثم عاد الى الصين على ايام ثورة ١٩١١ فترأس الجمهورية في نانكان

ثم هرب من وجه يوان تشي كي ثم عاد الى كانتون حيث ألف حزب الشعب المسمى بالجراند الحزب الوطني . وفي العام ١٩٢٤ هيأ الدكتور سون ون نص الدستور الاشتراكي الجديد فاعلنه في مؤتمر حزبه العام ١٩٢٥

وقويت شوكة حزبه بمساعدة البلشفيين وقد مدوه بالرجال والمال والسلاح والذخيرة واستنجد الحزبُ بالروسيا حبًا بالمبادئ البلشفية وان تكن صبغةُ دستوره اشتراكية ولكن طمعاً بقهر اعدائه الشماليين . فمن البديهي انه باع بلاده للمسكوب ليغلب مناوئيه ومواطنيه من تبعة الحزب الشمالي

﴿الحزب الشمالي﴾ انصارُهُ رجال حكومة پكين وغيرهم من الزعماء الذين يتظاهرون بالاخلاص نحو المبادئ التي تأسس عليها العرش الامبراطوري فيحاولون بذلك اقناع العامّة ان السلطة الشرعية قد تسلسلت من اسرة « تسين » الامبراطورية عن يد « يوان تشي كي » وان سائر الحكومات التي خلفتْهُ الى الحكومة الحالية بطريقة نظامية لا تدع سبيلًا لشكّ في صدق حقوقهم

ولكن حجتهم باطلة اذ ان الحكومات التي سبقتهم كان اربابها يتشاجرون ويتقاتلون ولم يسلم احدُهم غيره مقاليدَ الحكم الّا مكروهاً . ومع ذلك فلا تزال حكومة پكين ترفع الراية المخططة الالوان رمزًا للشعوب الصينية الخمسة المكونة منهم الجمهورية اعني الصينيين والمنشوريين والمنغوليين والتيبتيين والمحمديين وهي الحكومة الرسمية التي تعترف بها السفارات الاجنبية على انها صفر اليدين والاموال قد نفدت من خزانتها . وهي واهنة لا قوام لها على تنفيذ قانون الجمهورية الدستوري

ومما جعل موقفها حرجاً ان المجلس النيابي كان قد تمّ انتخابه خلافاً للقوانين فالجأت الحالة الى حلّه وما من سبيل الى انتخاب مجلس جديد غيرهُ لكي يحسم الداء ويلمّ شعث الامة الّا بواسطة مؤتمر وطني وقد اصبح امرهُ مستحيلًا بين الحروب الاهلية والشاكسات وهيهات ان يقوى الحزب الشمالي على قهر الحزب الجنوبي وادخاله في طاعته ما لم يظهر فيه رجل يقبض على الحكم بيد من حديد ويقمع الاقاليم من حكم الثوار ويوحد كلمة البلاد . الّا ان هذا الرجل النابغة هذا البونابرت الجديد لم يظهر بعد وليس هناك الّا زعماء « عصابات »

٤ زعماء الثورة

تلقبهم الجرائد بالالقاب الفخمة الرنانة كجنرال ومرشال انما هم في الحقيقة بعض المتهورين من رجال الدرك كانوا في الامس ضباطاً يساعدون الحكام المدنيين على حفظ نظام الاقاليم واصبحوا اليوم عصاة يشنون الغارات على مواطنيهم فيهاجمون المصارف ومستودعات الاموال ليملأوا جيوبهم بما يسلبون ويصرفون فضلات ما يتوفر لديهم في شراء اسلحة وذخائر يقتتلون بها

وما بين هؤلاء «الابطال الوطنيين والجنود البواسل» اننا نجد في الشمال القائد تشانسولين صاحب اقاليم منشوري تبوأ وظيفته بالدهاء والخداع وهو صديق اليابانيين وعدو الثوار الجنوبيين الالد. وفي الشرق على ممر القطار الحديدي من تيان تسان الى نانكان نجد القائد تشانغ تسون تشانغ ينسبون اليه الطمع الاشعبي وانه عدو الكانتونيين لانهم لا يرضون به زعيماً عليهم

وفي الغرب نرى زعيماً ثالثاً اسمه اوبيفو وهو محالف القائدين الاولين يبسط سلطته على طرفي الخط الحديدي الممتد بين پكين وهنكيو على ان قواته تدهورت في مدينة هنكيو اذ لطمتها امواج الجيش الجنوبي الطاغية

وفي جنوبي النهر الازرق من نانكين الى شنغاي نرى قائداً رابعاً اسمه سون تشانغ وقف يدافع عن مدينة شنغاي الى ان جاءتها نجدة الاجانب ورجع منكسراً امام الكانتونيين وقد احتلوا ايالات فوكيان وكيانغسي وتشيكيانغ

وكان هؤلاء القواد الاربعة متعادين في الامس فتحالفوا اليوم على مقاتلة الكانتونيين ولا يجدون من يستنجدون به على اعدائهم بين الدول الاجنبية لانها كلها اعلنت حيادها عن الحرب الاهلية. على ان الروس يمدون الكانتونيين بالمال والذخيرة والسلاح يرسلونها اليهم من فلاديفوستوك عن طريق البحر ويوفدون اليهم الضباط والمستشارين ويؤدون للقائد الجنوبي فرنفوسيانغ ما يحتاجه من مؤونة واسلحة لمواصلة الجهاد وهو صديقهم وقد تلقن المبادي السوفياتية في موسكو

٥ الصين الفتاة

تشبه بلاد الصين اليوم مسرحاً واسعاً تمثل فيه مؤساة يختلف فيها المشخصون على اختلاف ادوارهم وتتعاقب فيها النكبات على ممرّ الحوادث واهواء السياسة. وقد حاولنا وصف هذه الرواية وذكر البعض من الذين يلعبون فيها دورهم لكنّ المحرّك الاصيل لم يظهر فيها اذ هو كالروح بالجسد فهي كلّها في كلهِ ومنها يستمدُّ حياتهُ لنا هي خفية مخفية وليس هذا المحرّك سوى «الصين الفتاة»

يتألف (اوّلاً) من الصينيين الذين تلقنوا في اوروبا وفي اميركا علم السياسة والاجتماع والاشتراع وعادوا الى بلادهم وقد دبّت في قلوبهم روح الثورة على المؤسسات القديمة فقاموا يهاجمونها ظنّاً منهم انهم اذا قلبوا النظام التقليدي بلغوا لساعتهم ما بلغه اليابانيون اخوانهم من الرقي والفلاح

هم (ثانياً) الفتيان الصينيون الذين لم يتسنَّ لهم السفر الى البلاد البعيدة لكنهم تشرّبوا روح الثورة من الكتب المدرسيَّة الجديدة. وهذه تعاليمها مبنيةٌ على اساس لادينيّ تلقّن الاحداث في المدارس ان الانسان سليل القرد وتغرس في عقل الناشئة ان لا فرقَ جوهرياً بين الخير والشر اذ هي اوهام من اختراع الجهل وان لا ربَّ لنا ولا سيّدَ وان الوطنيَّ الصادق حسبه ان يجري على سنَّة البلاد فلا يضرّ باحد لتكون حقوقه مصونة مرعيةً وانَّ الاجانب هم اعداء الوطن الالدّاء. لا بدَّ من طردهم وسحقهم اينما حلُّوا

وكأن الشيطان الرجيم قد خوّل سطوةً على هذه الامة البائسة ليُجهز فيها على بقايا ما رسب فيها من المبادئ القويمة الصالحة فقد برز فيها بهيئة الماسونيَّة على اختلاف اجناسها ونفخ فيها روح البلشفية المسموم وقد هبَّت نفثاته من موسكو عقب المؤتمر الشيوعي الدولي الثالث حيث عقد زعماء البلشفية النية على بث روح الثورة اينما استطاعوا في العالم اجمع

ومما نذكره باسف هو ان الدعاة من البروتستانت في الصين مع كل ما بذلوه من عناء واموال ومجهودات لتنصير اهلها لم يبلغوا من غرضهم الّا انهم اناروا العقول

من غير ان يخضعوها الى روح الايمان لان جرية البحث واليقين من جوهر تعليمهم فآل امرهم انهم مدّنوا ولم يتضروا. والمدنية ان لم تكن مبنية على اساس الدين الحقيقي اضحت سطحية باطلة. امّا المرسلون الكاثوليك فنشروا تعليمهم وتضروا لكن ما اقلّ عددهم واضيق نطاق عملهم بالنسبة الى سعة البلاد وعظمتها!

***

كان الوقود يابساً معدًّا للحريق اذ سقطت عليه شرارة فالتهب ونفخت فيه الريح فانتشر. وهوذا روح الصين الفتاة تنفخ في الجنود العصاة نفثاتها المسمومة فتدفعهم الى ايقاد اللهيب ونشر الدمار حتى يعمّ البلاد؟ أوَهل يمتدّ أواره ما وراء الحدود فتنال شرارته الشرق والغرب؟ لا يعلم الغيب الّا الله. انما علينا ان نطلب منهُ عزّ وجل ان يبسط يده القديرة ويسكّن الرياح والعواصف فيحدث هدوء عظيم ويعود السلام لبني البشر والامن لبيعته المقدّسة

سرّ القربان في الآثار العربيّة

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في اواسط شهر حزيران الحاضر تقيم الكنيسة الكاثوليكيّة اعياداً جليلة في جميع انحاء العالم ذكرًا لسرّ تذهل لسموّه العقول البشريّة وتنحني امامهُ رؤوس العالمين. ألا وهو سرّ القربان الاقدس الذي تعطّف السيد المسيح بوضعهِ في عشائهِ السرّي فتركهُ لتلاميذهِ كتذكار محبّتهِ الالهيّة اذ اخذ الخبز وشكر وبارك واعطاهُ رسلهُ قائلًا: «خذوا وكلوا هذا هو جسدي» ومثلهُ صنع بكأس الخمر بعد بركتها فقال: «اشربوا منهُ فهذا هو دمي اصنعوا ذلك لذكري»

فبهذه الالفاظ البسيطة التي لا تقبل تأويلًا وبمماحكةً تمّم السيد المسيح ما وعد بهِ اليهود بقولهِ (يوحنّا ٦: ٥١ — ٦٠) «انا الخبز الحي الذي نزل من السماء. ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي لحياة العالم.. ان لم